www.quranonlinelibrary.com

منشورات المطر

القراءة الجماعية والحزب الراتب في المغرب

بحث وتأصيل في المشروعية والتاريخ

د. عبد الهادي احميتو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

www.Quranonlinelibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القراءة الجماعية والحزب الراتب في المغرب

بحث وتأصيل في المشروعية والتاريخ

د. عبد الهادي احميتو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الكتاب : القراءة الجماعية والحزب الراتب في المغرب

المؤلف : د. عبد الهادي احميتو

منشورات : مجلة المجلس العلمي الأعلى

الطبعة : الأولى 2010

الإيداع القانوني : 2011MO 0439

الإخراج : نداكوم ديزاين، هـ : 05 37 68 25 50

الطباعة : مطبعة البيضاوي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أمّا قبل

من الناس رجال شاء الله لهم أن يكونوا من حسنات هذه الدنيا، تسعد بهم الحياة، ويسعد بهم الناس، أولئك الذين هداهم الله، وفتح أبصارهم وبصائرهم.

وآخرون شاء الله أن يكونوا من سيئاتها، تشقى بهم الحياة، ويشقى بهم الناس، أولئك الذين أضلهم الله، فأصمهم وأعمى أبصارهم، سنة الله التي قد خلت في عباده، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل:

«...فمنهم شقي وسعيد، فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، إن ربك فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ»

ولم يخل عصر من العصور، ولا أمة من الأمم، أو جيل من الأجيال من هذه الثنائية المتناقضة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«... فريقا هدى وفريقا حقت عليهم الضلالة»، «ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء».

وليست أمتنا اليوم، ولا عصرنا وأجيالنا الحالية، بدعا من الأمم والأجيال والعصور التي سبقتها، فلا عجب - إذا - أن يكون لها حظها من ميراث السعادة والشقاوة، مثلما كان للذين من قبلها. ولا بد لها أن تبتلى بمن يسعى برعونته وجهله في تفكيك عرى وحدتها الدينية، والطعن في ثوابتها ومقدساتها، والتشكيك في اختياراتها في مخالفة مذمومة لمقاصد شريعة الله الخالدة، ومكارمها وسعتها ومرونتها، وقدرتها الخارقة على استيعاب ثقافات جميع الشعوب وأعراف وتقاليد البشر على اختلاف أقطارهم وأعراقهم وألسنتهم وألوانهم، وحضاراتهم التي لم تصادم نصا قطعي الدلالة، قطعي الثبوت.

كما ابتليت أمتنا بمن سعى ويسعى وسيسعى في إضعاف وحدتها الدينية والقومية، وزعزعة أمنها واستقرارها بإطلاق دعوات شيطانية ملعونة ورفع شعارات جاهلية منتنة.

❑●❑

وكما أفلحت الأمة في إحباط ما حيك ضد سيادتها الوطنية، ومقدساتها الدينية من مؤامرات في الماضي البعيد والقريب فهي - اليوم - تناضل باستماته لإحباط مؤامرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الغدر والكيد التي بلغت حد المظاهرة عليها بعدو الملة والدين، وهي بفضل الله القوي العزيز وبفضل اعتصامها بوحدتها الوطنية، وبحكمة قيادتها التي تجر وراءها تاريخا نضاليا مجيدا، وتجري في عروقها دماء الشهامة والمجد، بفضل كل ذلك ستلحق بالمعتدين أشنع الهزائم.

و«إن موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب».

ومع كل ما اقترفه المذنبون من عدوان فإننا نطلب ممن دأب على معاكسة الأمة وآمالها في وحدتها واستقرارها، بحق الدين والأصل والمصير المشترك أن يتلو هذه الآية الكريمة بإمعان، وهي تخاطب من يعي ويتعظ: «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا فهو خير لكم، وإن تعودوا نعد، ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت، وأن الله مع المومنين».

❑●❑

وإن الكتاب الذي نقدمه اليوم لا يخرج عن سياقات النضال من أجل الوحدة الدينية، والذود عن الاختيارات التي أجمع عليها علماؤنا وولاة أمرنا وذوو الفضل والصلاح من أسلافنا، وتمسكوا بها وذبوا عنها.

تجرد فيه مؤلفه الفقيه العالم الدكتور عبد الهادي احميتو، وهو أحد علماء الأمة، وشيخ من مشايخ أهل القرآن في مغرب القرآن، تجرد فيه لتصحيح فهم بعض من لا علم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عندهم ولا عقل، بتوضيح ما أشكل من الحكم وبسط الأبعاد الإصلاحية التي توخاها أهل المغرب من وراء قراءة القرآن جماعة، داحضا مقولاتهم ومفندا مآخذهم بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة.

وقد أبرز قيمة قراءة الحزب الراتب الذي اعتاد قومنا على تلاوته بكرة وعشيا، بجميع مساجد المملكة المغربية، بحواضرها وباديها، وجبالها وصحرائها، وما يحدثه هذا الأسلوب من التلاوة القرآنية في نفوس المومنات والمومنين وأرواحهم ووجدانهم، من بالغ التأثير وعميق الإيمان ومزيد تعلق بكتاب الله العزيز، فضلا عن أن الكثيرين من الذين دأبوا على الحضور في حلقات هذه التلاوة المباركة، تمكنوا من حفظ القرآن الكريم كلا أو بعضا.

❑●❑

وإن المجلس العلمي الأعلى إذ يقدم هذا المؤلف الصغير في حجمه الكبير في قيمته للمكتبة الإسلامية عامة، والمكتبة القرآنية بوجه خاص، ليرجو أن يحصل الانتفاع به، وأن يكون حاسما في موضوع طالما اتخذ منه من لا عقل ولا حس له ذريعة للتشغيب، ووسيلة للإنكار والتشنيع على المومنين الذين يتعبدون الله بتلاوة كتابه آناء الليل وأطراف النهار.

د. محمد يسف
الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تقديم

للشعوب، كما للأفراد، في العمران البشري خصائص وسمات، منها ما هو جِبِلِّيّ، وما هو مكتسب. فكما يتميز كل شعب عن غيره من الشعوب، يتميز أفراده عن أبناء الجنس الماثل كلّ بسماته الشخصية، وصفاته الخِلْقية والخُلُقيّة، حتّى ينعدم التطابق التام بين شعب وشعب، وبين شخص وغيره في تكوين الفوارق الملحوظة بين الأجناس وبين الأفراد، مما يعكس بجلاء بدائع القدرة الإلهية في خلق هذا التنوع الذي يطبع أجناس الموجودات، ويشكل القاعدة التي لا تنخرم مهما تكن درجات التقارب، حتى بين التوائم أو أبناء البيت الواحد أو الشعب الواحد، كالتقارب والتشابه في صور الوجوه أو العيون والأنوف أو الألوان عند الصينيين واليابانيين والزنوج، وكالتقارب والتشابه بين شعوبها أيضا في الشمائل والاهتمامات وخصائص العادات، والسائد فيها من الأعراف والقيم الدينية والثقافات الشعبية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وتلك المميزات في النهاية هي التي تكون عناصر الشخصية الاعتبارية للشعوب والأفراد، وتبني معالم الهوية الإنسانية التي تحول دون ذوبان شعب في شعب أو فرد في فرد، وتعصم النوع من حدوث ما يمكن تسميته بالاستنساخ، سواء تعلق الأمر بتخلق الشعوب أو تخلق الأفراد والقيم.

وكذلك شعب المغرب وساكنته، ليس خارجا عن هذا القانون العمراني في خصوصيته وكينونته، وملامح شخصيته وهويته، وخضوعه للعوامل البيئية والمنظومة القيمية التي آمنت بها ورسمت خط سيرها في هذا الركن القصي من العالم المعمور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

العلامة ابن خلدون
وخصائص أهل المغرب

والعلامة ابن خلدون، وهو نتاج هذه الآفاق، الذي جال في أرجائها، واستبطن أحوال أهلها، وسبر أغوار ساكنتها، واستقرأ الثابت والمتحول عندها، كان أحذق علماء الحضارة الذين درسوا خصائص الشعوب والأمم، كما تبلور ذلك من خلال نظريته في العمران البشري التي ضمنها مقدمته المشهورة، وأملت عليه كتابة تاريخه الكبير المسمى ب«العبر»، وقد التفت بصفة أساسية إلى جملة من خصائص أهل المغرب والعوامل الكامنة وراءها، والبواعث التي أدت إلى سيادتها وفشوها في البلاد عبر العصور، واستمرارها فيه في الأقطار والأمصار.

ولعل أهم تلك الخصائص هي المتعلقة بمحورية القرآن الكريم في حياتهم الدينية ونظمهم التعليمية، ومالهم في حفظه وتحصيل علومه من النبوغ الذي لا يضاهيهم فيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

شعب من شعوب ديار الإسلام، فحين يتحدث ابن خلدون في تاريخه عن هذه الساكنة، يلفت إلى هذه الخاصية فيقول في هذا السياق : «وأما إقامتهم لمراسم الشريعة، وأخذهم بأحكام الملة، ونصرهم لدين الله، فقد نُقل عنهم من اتخاذ المعلمين لكتاب الله لصبيانهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم... ما يدل على رسوخ إيمانهم، وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم، التي كانت مِلاكاً لعزهم، ومَقاداً إلى سلطانهم وملكهم»[1].

وحين تحدث في مقدمته عن مذاهبهم في التعليم الأولي، وإشكالية ترتيب الأولويات فيه قال : «اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض فنون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من الملكات».

ثم يتطرق لتفصيل ما أجمله ويفضي إلى مراده بالذات، وهو تقرير ما لأهل المغرب في هذا الشأن من الخصوصيات فيقول :«فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء

---

1 - تاريخ ابن خلدون (6/105).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من مجالس تعليمهم، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أُمَمِ المغرب في ولدانهم، إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا مذهبهم في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره».

ثم يستخلص ابن خلدون نتيجة هذه الخاصية فيقول : «فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم»[2].

وهكذا ينتهي بنا ابن خلدون إلى إبراز أهم خصوصية للمغاربة في هذا المجال، وهي خصوصية عريقة في واقعنا التاريخي، وما يزال لها إلى اليوم في واقعنا الحاضر امتداد وشواهد تزكيها بحمد الله.

ولعله من واقع الحال المشهود عبر العصور، شاعت بين الأدباء هذه المقولة التي لا يُدرى مصدرها، وهي تصف جانبا من خصائص الشعوب، وذلك في قول من قال : «نزل القرآن بلغة العرب، ففسره الفرس، وكتبه الترك، وقرأه المصريون، وحفظه المغاربة». وقد أصاب قائلها المِفْصَلَ فيما نسبه للمغاربة من هذه الخصوصية الفريدة.

---

2 - مقدمة ابن خلدون ص 538 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عوامل مساعدة على النبوغ المغربي في الحفظ والتحصيل

فإذا أحببنا أن نضع أيدينا على أهم العوامل والوسائل التي جعلت أهل المغرب أكثر الشعوب الإسلامية حفظا للقرآن، وجدناها قائمة على ما ذكره ابن خلدون صراحة أو ضمنا، وهي لا تخرج عن هذه المعادلة الثلاثية التالية :

1 ـ جعل القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من الملكات.

2 ـ التبكير بالقرآن بتعليمه للولدان في الصغر؛ ليكون أرسخ في الوجدان.

3 ـ تدارس القرآن بين الأحياء في البوادي والأمصار، آناء الليل والنهار؛ مما يجعلهم أقوم على رسمه وحفظه من سواهم.

وهذا الأخير يتضمن اعتماد القراءة الجماعية وسيلة لتحقيق مقصدين وغايتين مشروعتين :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أ ـ قراءة الأسوار للشّداة المتعلمين بقصد سرعة التحفيظ والتمتين للمحفوظ بكثرة المدارسة والتكرار.

ب ـ قراءة الحزب للحفّاظ لتعاهده بصورة دائمة، خوف الذهول والنسيان، مما يجعل قارئ الحزب الراتب في رحلة قرآنية دائمة، يتنقل في مراحلها بشكل دائب مستمر عمرَه كلَّه، على ما جاء في الحديث النبوي الشريف : أفضل الأعمال الحالّ المرتحل»[3]، يعني : الذي يرتحل من ختمة أتمها، ويحلّ في ختمة أخرى استهلّها[4].

الباعث على إثارة القضية

أما الباعث على إثارة القضية من جديد للإلحاح على هذه الخصائص في البنية التركيبية لهويتنا الحضارية في وقتنا هذا، فهو رفع اللبس والغبَش عن الحقائق المتعلقة بالقراءة

---

3 - إشارة إلى ما رواه الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن عباس قال : «قال رجل : يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحال المرتحل، قال : وما الحال المرتحل ؟ قال : الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل» . سنن الترمذي : كتاب القراءات عن رسول الله ، ص 659 حديث 2948 .

4 - انظر إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة المقدسي على الشاطبية في القرآت السبع ص 737 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الجماعية، وقراءة الحزب، وما يتعلق بذلك مما هو من ثوابتنا العرفية، بإزاء ما أثارته بعض الفئات المتمدرسة الأغراب عن تراث بلادنا الفكري، حول ما يعتبر من خصائص هذه الديار ومزاياها وفضائلها، في المحافظة عليها حتى بعد ضعفها أو انقراضها من منطلقاتها الأصلية، كمذهب مالك وقراءة نافع، اللذين مقرهما الأصلي هو بالمدينة النبوية، وكرواية ورش التي مقرها الأصلي بفسطاط مصر، وكطريق الإمام الداني في القراءة واختياراته في الرسم والضبط، ومقرها بمدينة دانية من شرق الأندلس، إلى غير ذلك مما حافظت عليه بلادنا منذ دخوله، دون أن تفقد منه شيئا، على خلاف ما وقع ـ مثلا ـ لقراءة ابن كثير المكي في مكة المكرمة، ولقراءة نافع المدني في المدينة المنورة، ولمذهب مالك في الحجاز ومصر، فنبغت بين أظهرنا نابغة ونبتت نابتة على هامش الحياة اليومية التي تعيشها بلادنا وأحياؤنا ومساجدنا ومدارسنا العتيقة عصورا متطاولة إلى أيامنا، فتوجهت بألسنتها السليطة إلى أئمتنا وقرائنا ومشايخنا من عمّار المساجد، تكيل لهم التهم بغير حساب ولا وازع من دين، وترميهم بالابتداع ومخالفة السنة.

وأهم ما أكثروا ويكثرون الطنين حوله من ذلك، ويرون الملتزم به مبتدعا ومخالفا للسنة من القرّاء والفقهاء والعلماء وغيرهم :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أ ـ الالتزام بفروع المذهب المالكي دون الأخذ بفقه الحديث، وينعتون من يفتي بذلك بالمقلد والمتعصب.

ب ـ الالتزام بقراءة نافع، وخاصة برواية ورش التي هي عند بعضهم رواية شاذة لا توجد في غير المغرب.

ج ـ الالتزام بقراءة القرآن قراءة جماعية، وهي في نظرهم قراءة بدعية من محدثات الأمور لم تكن على عهد السلف.

د ـ الالتزام بقراءة الحزب الراتب في الصباح والمساء، وهو عندهم من محدثات الأمور أيضا.

هـ ـ الالتزام في القراءة الفردية والجماعية بوقف الهبطي، والسنة عندهم هي الوقف على رؤوس الآي لا غير.

وهكذا حوَّلوا التزام أهل المغرب بهذه الخماسية التي تعتبر من أهم خصائص هويتنا ومميزات شخصيتنا العاصمة لنا من الذوبان في غيرنا، من كونها فضائل لنا ومزايا ومكارم، إلى كونها معايب لنا ومساوئ ومثالب يدعون إلى تركها.

ونحن مضطرون في مقابلة هذا التطاول إلى بعض الوقفات التي نطيل فيها النفس من أجل التأصيل لها. ونضرب صفحا عما ليس في حاجة إلى الإضافة فيه وفي مشروعيته، فنكتفي ببسط القول في الالتزامات الثلاثة الأخيرة، ونقول لمن يريد أن يناقش حتى في أخذنا بمذهب مالك وقراءة نافع، ويطمع في زحزحة بلادنا وأهلها قيد أنملة عنهما :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يا ناطح الجبل العالي ليهـدمـه

أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وتنويرا منا للقارئ الكريم، وبيانا للحقيقة في ضوء ما حبّره العلماء في هذا الموضوع نقف معه هذه الوقفات المتأنية.

أقرب الأدلة متناولا
في بيان مشروعية القراءة الجماعية

فأما أقرب دليل من حيث الجملة : فهو البقاء في شأنها على البراءة الأصلية حتى يأتي ما ينقلنا عنها، وذلك باعتبار أنها قراءة للقرآن، وقراءة القرآن هي من أزكى الطاعات وأعظم القربات إلى الله، باتفاق الأمة واجتماع الأئمة.

والدليل الثاني من حيث الجملة : أنها من أعمال البر التي أمرنا بفعلها والتعاون عليها، وقد استدل الإمام يحيى بن شرف الدين النووي من أئمة الشافعية في كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن» في فصل عقده فيه بعنوان : «فصل في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين وفضل القارئين من الجماعة والسامعين، وبيان فضيلة من جمعهم عليها، وحرّضهم وندبهم إليها»، أطال فيه القول في الاستدلال،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وسيأتي لنا طرف مما ذكره، ويهمنا منه هنا قوله : «وأما فضيلة من يجمعهم على القراءة ففيها نصوص كثيرة «، ثم ذكر بعضها وقال : «وقد قال الله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[5]، ولا شك في عظم أجر الساعي في ذلك»[6].

والدليل الجملي الثالث ما فيها من خير من جهات كثيرة للمتعلم وللقارئ وللمستمع وللعامي والأمي الذي لا يتمكن من سماع القرآن ولا من القراءة في المصحف، وقد ثبت بالخبرة والعيان أن طائفة كبيرة من اللذين يَعمُرون المساجد من العوام والمتعلمين، قد حفظوا القرآن الكريم أو أكثره بسبب طول حضور القراءة الجماعية في الحزب الرّاتب اليومي، كما ثبت بالتجربة والممارسة ما للقراءة الجماعية من قيمة تعليمية في غاية الأهمية، سواء لتعاهد المحفوظ في القرآن حتى لا ينسى من الذاكرة، أم بالنسبة لتمكينه وتمتينه بتكرار المحفوظ، أم بالنسبة لتقليص المدة اللازمة في عرض المحفوظ على المشايخ ؛ إذ لا يتمكنون من الاستماع إلى كل عارض على حدة، ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾[7]، فقد كنا زمن الدراسة في الكُتّاب القرآني نختم القرآن بـ«الأسوار» بهذه الطريقة كل ثلاثة أيام أو أربعة.

---

5 - المائدة ؛ الآية 3.
6 - كتاب التبيان ص 57 ـ 58 .
7 - فاطر ؛ الآية 14 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقد عرفنا بالممارسة وأدركنا كم كان الفرق بيننا في التحصيل وبين أقراننا ممن كانوا في بعض المحاضر الأخرى ممن يتهاونون في «الأسوار».

وأما من حيث الاستدلال على ما يتذرع به من يدعي أن القراءة الجماعية أمر محدث ؛ لأنه لم يكن على عهد النبوة، فالجواب عنه من وجوه كثيرة ستأتي، وأقربها وأوضحها دلالة ما أجاب به عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهما حين عرض عليه بعد مقتل القراء في موقعة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب أن يأمر بجمع القرآن، قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله - ﷺ - قال عمر : هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر»، وهكذا أيضا أجابهما زيد بن ثابت بمثل ما أجاب به أبو بكر، فقال له : هو والله خير... إلى آخر الحديث[8]. فهذا الجواب على تساؤل أبي بكر وزيد بن ثابت على الاعتراض بالسؤال : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله - ﷺ - ؟ وقول المجيب : «هو والله خير»، هو الجواب ذاته في كل أمر حادث في الأمة

---

8 - صحيح الإمام البخاري : كتاب فضائل القرآن، باب جمع القران (4/1907) ح 4701 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بهذه الصفة، مما هو خير في نفسه أو وسيلة إلى الخير، مما تتناوله الأدلة العامة كقوله تعالى :﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[9] وقوله : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾[10].

فإذا اعترض معترض بما يدّعى على القراءة الجماعية من الهذرمة والسرعة وعدم إعطاء الحروف حقها من التجويد، قلنا : هذا وصف زائد خارج عن محل النزاع، وهو يتوجه إلى كل قراءة لم تستوف الشروط، سواء كانت فردية أو جماعية، فيدور الحكم فيها مع العلة وجودا وعدما، وحينئذ لا يختص هذا بالقراءة الجماعية، فلا تبقى فيه حجة وذريعة للمعترض يعترض بها على مشروعيتها.

وأما الاعتراض عليها بالهذرمة المزعومة، فهو غير واقع عليها وحدها أيضا، ولا هو أيضا من لوازمها، ونحن في المدة الأخيرة نستمع إلى عروض مصورة في المساجد من عدد من الأقاليم المغربية تعرضها قناة السادسة من إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فنستمع الحزب من القرآن يقرأ بطريقة الحدر قراءة جيدة لا مطعن فيها لمنصف، وقراءة الحدر هي جارية على إحدى المراتب الثلاث للقراءة، وهي : التحقيق والتدوير والحدر، وكلها جائزة على تفاوت بينها في

---

9 - الحج : الآية 75 .

10 - الزلزلة : الآية 8 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكث، لاشتراكها في صفات القبول، وقد ترخص السلف في سرعة القراءة بحسب الحال، لا سيما للمنفرد يقرأ لنفسه في الصلاة أو في غيرها، وجاءت الرواية بفعل السلف لذلك، فجاء عن ذي النورين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أنه أوتر بالقرآن في ركعة عند الكعبة، وأن تميما الداري - رضي الله عنه - قرأ القرآن في ركعة، وأن سعيد بن جبير من فقهاء التابعين قال : «قرأت القرآن في ركعة في البيت»، يعني بيت الله الحرام، وأن سليم بن عتر من فضلاء التابعين كان يختم في ليلة ثلاث مرات، ويخرج لصلاة الصبح[11].

موقف الإمام مالك من القراءة الجماعية وتوجيه العلماء له

ولعل أقوى حجة يحتج بها المحتجون لمنع القراءة الجماعية هي ما نقل عن مالك - رحمه الله - من كراهتها فيما نقله الإمام الونشريسي عن أبي إسحاق الشاطبي حيث قال : «وسئل أبو إسحاق الشاطبي عن قراءة الحزب بالجمع، هل يتناوله قوله - عليه السلام - : «ما اجتمع قوم في بيت

11 - انظر فضائل القرآن لأبي عبيد(1/351) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم» كما وقع لبعض الناس أو هو بدعة ؟ فأجاب : أن مالكا سئل عن ذلك فكرهه، وقال : لم يكن من عمل الناس، قال : وفي العتبية : سئل مالك عن القراءة في المسجد ـ يعني على وجه مخصوص كالحزب ونحوه ـ فقال ـ : لم يكن بالأمر القديم، وإنما هو شيء أحدث ـ يعني أنه لم يكن في زمن الصحابة والتابعين ـ قال : ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها...»[12].

اعتراض الإمام النووي على الإمام مالك وقوله عن قوله: «إنه متروك»

وفي مقابل ما ذهب إليه الإمام الشاطبي في شأن القراءة الجماعية، ونفي دخولها في معنى الحديث المذكور، نجد في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن للإمام يحيى بن شرف النووي موقفا مقابلا يقول بنقيضه، إذ يَعْقِد هذا الإمام فصلا في كتابه بعنوان : «فصل في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين، وفضل القارئين من الجماعة والسامعين، وبيان

12 - المعيار المعرب للونشريسي (11/ 112)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فضيلة من جمعهم عليها، وحرّضهم وندبهم إليها»، ثم يقول : «اعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة، بالدلائل الظاهرة، وأفعال السلف والخلف المتظاهرة، فقد صح عن النبي - ﷺ - من رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - أنه قال : «ما من قوم يذكرون الله إلا حفّت بهم الملائكة...»، وذكر الحديث السابق وقال : «قال الترمذي : حديث حسن صحيح، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة...»، وذكر باقي الحديث وقال : «رواه مسلم وأبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم»، ثم ذكر النووي أحاديث أخرى وقال : «والأحاديث في هذا كثيرة»، ثم قال : «وروى ابن أبي داود أن أبا الدرداء - رضي الله عنه - كان يدرس القرآن معه نفر يقرأون جميعا»، وروى ابن أبي داود فعل «الدراسة» مجتمعين عن جماعات من أفاضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين.

وعن حسان بن عطية والأوزاعي أنهما قالا : أول من أحدث «الدراسة» في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل - المخزومي - في قدمته على عبد الملك، يعني ابن مروان بالشام. قال النووي : «وأما ما روى ابن أبي داود عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب، أنه أنكر هذه «الدراسة» وقال : ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رأيت ولا سمعت، وقد أدركت أصحاب رسول الله - ﷺ - يعني : ما رأيت أحدا فعلها. وعن ابن وهب قال : «قلت لمالك : أرأيت القوم يجتمعون فيقرأون جميعا سورة واحدة حتى يختموها ؟ فأنكر ذلك وعابه، وقال : ليس هكذا يصنع الناس، إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرّضه»، فهذا الإنكار منهما مخالف لما عليه السلف والخلف، ولما يقتضيه الدليل، فهو متروك، والاعتماد على ما تقدم من استحبابها، لكن القراءة في حال الاجتماع لها شروط قدمناها، ينبغي أن يعتنى بها، والله أعلم»[13].

وممن سلك مسلك مالك في كراهة قراءة الجماعة، ونقل قول ابن وهب عن مالك، الإمامُ أبو بكر الطرطوشي نزيل الإسكندرية، فقال في كتاب «الحوادث» : «قال مالك : لا يجتمع القوم يقرأون في سورة واحدة كما يفعل أهل الإسكندرية، هذا مكروه لا يعجبني، لم يكن هذا من عمل الناس، هذا مكروه ومنكر، فلو قرأ واحد منهم آيات، ثم قرأ الآخر على إثر صاحبه، والآخر كذلك، لم يكن بذلك بأس، هؤلاء يعرضون بعضُهم على بعض»[14].

---

13 - التبيان ص57 ـ 58، وانظر الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص 126 ـ 127 وتاريخ دمشق لابن عساكر (2/49) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قول الإمام مالك : «ليس هذا من عمل الناس»

أما قول مالك ـ رحمه الله ـ : «ليس هذا من عمل الناس»، وقوله : «لم يكن بالأمر القديم»، وتفسير الإمام الشاطبي له بأنه يعني : أنه لم يكن في زمان الصحابة والتابعين، فقد تقدم فيما نقله النووي عن ابن أبي داود أن أبا الدرداء «كان يدرِّس القرآن معه نفر يقرأون جميعا»، وأبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، بعثه عمر ـ رضي الله عنه ـ في خلافته إلى الشام ليعلم أهلها، فنزل دمشق وأقرأ في مسجدها إلى أن مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما سنة 32 هـ، فهو إذن من عمل الناس، ومن الأمر القديم، غاية ما هنالك أنه ظهر بالشام لا بالمدينة فلم يعرفه مالك.

وأما ما نقله أبو إسحاق الشاطبي ـ فيما قدمنا ـ نقلا عن العتيبة عن مالك أنه سئل عن القراءة في المسجد فقال : «لم يكن بالأمر القديم»، فقد زاد فيه الشاطبي تفسيرا لم يفسره به مالك، وهو قوله كما تقدم : «يعني القراءة على وجه مخصوص كالحزب ونحوه »، وهذا لم يقله مالك قطعا،

---

14 - الباعث ص 126 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وما أبعده عن قول مالك بصيغته الأصلية وسياقه الكامل الذي كانت الأمانة العلمية تقتضي عدم الوقف فيه على (فويل للمصلين) دون بقيته، وقول مالك في أصله هو كما رواه ابن أبي زيد القيرواني في كتاب الجامع في السنن والآداب هكذا : «ولم تكن القراءة في المسجد في المصحف من أمر الناس القديم، وأول من أحدثه الحجاج - يعني عامل الأمويين - وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد»[15]. فانظر إلى البون الشاسع بين كلام مالك في سياقه الأصلي، وبين ما نسب إليه أنه يعنيه بكلامه، وأن مراده «القراءة على وجه مخصوص كالحزب ونحوه»، والإمام الشاطبي إمام جليل القدر، فلعل هذا مدرج في فتواه. وإنما مراد مالك القراءة الرسمية التي يخرج فيها المصحف الرسمي في وقت مخصوص، ويقرأ فيه قارئ مخصوص مقدارا مخصوصا من القرآن،وهذا هو الذي أشار إليه الإمام الطرطوشي في قوله في كتاب الحوادث والبدع : «ومن البدع قراءة القارئ يوم الجمعة عشرا من القرآن عند خروج السلطان»، ثم ذكر أمورا أخرى وقال : «فهذه من الأمور المحدثة »[16].

وإذن فهذا مراد الإمام مالك بالقراءة في المصحف في المسجد، لا القراءة المطلقة على غير هذه الصفة، ويدلك على

---

15 - الجامع ص 164 .

16 - انظر المعيار للونشريسي (11/ 116 - 117) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أن هذا هو المراد ما جاء في المعيار نفسه في سياق آخر عن القراءة في المسجد حيث يقول : «وفي سماع عيسى عن مالك : ما يعجبني أن يقرأ القرآن إلا في الصلاة والمساجد، لا في الأسواق والطرق»[17].

فمالك إذن لا يكره قراءة القرآن في المساجد، وكيف يكرهها وقد قال عليه الصلاة والسلام - كما في الصحيح - للأعرابي الذي بال في المسجد : «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن»[18]. فتفسير قول مالك بأن مراده «القراءة في المسجد على وجه مخصوص كالحزب» فيه تحريف للكلم عن مواضعه، وتقويل لمالك لما لم يقله، وكذلك الزعم بأنه قال عن القراءة في المسجد : بأنها لم تكن بالأمر القديم، وإنما قال هو : «القراءة في المسجد في المصحف» يعني على نحو ما أحدث الحجاج الثقفي من ذلك أيام ولايته.

وأما الدعوى على قراءة الجماعة بأنها لم تكن من الأمر القديم فيرده ما تقدم من ظهورها في حلقة الصحابي الجليل

---

17 - المعيار (11 / 174) .

18 - رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ في كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد (1/236) ح 285، وأخرجه البخاري مختصرا في كتاب الأدب، باب الرقف في الأمر كله (5/2242) ح 5679، وأخرجه مالك في الموطإ مرسلا من حديث يحيى بن سعيد، باب ما جاء في البول قائما ح 129 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أبي الدرداء قاضي دمشق ومعلم قرائها، وسيأتي مزيد من البيان والتفصيل لذلك.

القراءة الجماعية وسيلة من وسائل العرض في حلقة أبي الدرداء الصحابي الجليل

وقد اقترن اسم أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عند أهل الشام بما عرف عندهم باسم «الدراسة » فذكر الحافظ الذهبي أنه «هو الذي سن الحِلق للقراءة»[19].

وتقدم قول الإمام النووي نقلا عن أبي داود : «كان أبو الدرداء يدرس القرآن معه نفر يقرأون جميعا»[20].

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي الدرداء من كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : «قال سويد بن عبد العزيز : كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفا، ويقف في المحراب يرمقهم

---

19 - سير أعلام النبلاء للذهبي (2/ 249) .

20 - التبيان ص57.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك. قال : وكان ابن عامر - من القراء السبعة وقارئ أهل الشام - عريفا على عشرة - كذا قال سويد - فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر»[21].

وعن سلام بن مشكم - كاتب أبي الدرداء - قال : قال لي أبو الدرداء : اعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم ألفا وستمائة و نيّفا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائما، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء رضي الله عنه[22].

القراءة الجماعية في اتجاه إفريقية والمغرب

ويهمنا من هذا التركيز على حلقة أبي الدرداء وما ظهر فيها من «الدراسة» بوصفها من وسائل التعليم، ما ذكره الحافظ ابن عساكر في هذا الصدد حيث قال بعد عرضه لطائفة من الروايات : «فممن كان يحضر «الدراسة» ممن يوصف بالعلم أو بالرياسة : إسماعيل بن عبيد الله بن أبي

---

21 - معرفة القراء الكبار (1/ 38 - 39).

22 - معرفة القراء (1/ 67) وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (1 / 425 - 426) ترجمة رقم 1790.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المهاجر، وقد ولي إفريقية لهشام بن عبد الملك (105 ـ 124 هـ) وابناه عبد الرحمن ومروان ابنا إسماعيل"[23].

وقال أبو زرعة الدمشقي في تاريخه : «وسمعت أبا مسهر، أو حدثت عنه عن عبد الرحمن بن عامر اليحصبي ـ وهو أخو عبد الله بن عامر إمام أهل الشام في القراءة ـ قال : قال لي إسماعيل بن عبيد الله : أخوك أكبر مني بخمس سنين، قال : وعلى أخيك قرأت القرآن »[24].

فهذا الخبر يدل دلالة صريحة على أن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر كان أحد تلامذة عبد الله بن عامر الذي كان أحد العرفاء في «الدراسة» في حلقة أبي الدرداء، وبالتالي فقد يكون له أثر واسع في تشجيع أسلوب «الدراسة» واعتماده وسيلة من وسائل التعليم والعرض غداة ولايته على إفريقية لهشام، بل يذكر ابن حبان ـ وقد ترجم له في كتاب مشاهير العلماء ـ أنه «كان من صالحي أهل الشام وخيار الدمشقيين، وكان قد ولاه عمر بن عبد العزيز جند إفريقية، ومات في خلافة مروان سنة 132هـ[25]. ومهما يكن فقد أخذت «الدراسة» طريقها إلى إفريقية كما لاحظ الإمام مالك في عهده

---

23 - تاريخ دمشق (3 / 50) .

24 - تاريخ أبي زرعة الدمشقي (1/ 344) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

(94 ـ 179 هـ) حين قال كما تقدم: «لاكما يفعل أهل الإسكندرية»، وكما يدل عليه ما أجاب به بعده الفقيه المالكي سحنون بن سعيد (ت 240 هـ) حين قال فيما أملى على ولده في رسالته في آداب المعلمين: «ولقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجمع فيها للقراءة، فقال: بدعة »[26].

فقوله: «هذه المجالس» فيه دلالة على أنها صارت فاشية في الجهة واسعة الانتشار فيها، ومنها وصلت إلى المغرب والأندلس.

تغيير الفتوى عند المالكية بتغير الحال واعتبار المآل

ولكننا لا نمضي في الزمن غير يسير حتى تتغير فتوى المالكية في استعمال القراءة الجماعية وسيلة للتعليم، وأيضا لقراءة الحزب من القرآن، ولا يتسع المجال لذكر جميع ما وقفنا عليه في أخبار ذلك بالتفصيل، ونكتفي منه بأمثلة:

ـ فأبو محمد بن أبي زيد مؤلف الرسالة في الفقه، والملقب ب»مالك الصغير»، والمتوفى بالقيروان سنة 386هـ نقل عنه

---

25 - مشاهير علماء الأمصار ص 179 ترجمة رقم 1418، وانظر ترجمته في معالم الإيمان للدباغ (1/ 203) ورياض النفوس للمالكي (1/ 115).

26 - رسالة في آداب المعلمين لابن سحنون ص 105.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صاحب المعيار قوله حين سئل عن معلم صبيان يعرّض الصبيان عشية الأربعاء، هل يعرضون اثنين أو ثلاثة خشية ألا يستوعبهم في الجمعة أفرادا - يعني في الأسبوع -؟ فأجاب : إن كان على يقين من حفظهم، أرجو ألا يكون به بأس، فإن لم يكن على يقين من حفظهم، فإنه لا يدري من يحفظ منهم ؛ لأن بعضهم عون لبعض، ويفتح بعضهم على بعض..»[27].

- وتلميذه أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (ت 403 هـ) يقول في «الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين» : «وسئلت : هل للصبيان الصغار أو الكبار البالغين أن يقرأو ا في سورة واحدة وهم جماعة على وجه التعليم ؟ قال : «فإن كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم، فينبغي على المعلم النظر فيما هو أصلح لتعلمهم فيأمرهم به، ويأخذ عليهم فيه، لأن اجتماعهم في القراءة بحضرته يخفي عنه قوي الحفظ من الضعيف، ولكن إن كان على الصبيان من ذلك خفّة فيخبرهم أنه سيعرّض كل واحد منهم في حزبه..»[28].

- وتلميذ ابن أبي زيد الآخر أبو محمد محرز بن خلف

---

27 - المعيار (8/ 239) .

28 - الرسالة المفصلة (325 - 326) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التونسي المؤدب (ت 413 هـ) الذي ألف له ابن أبي زيد «الرسالة» الفقهية المشهورة ؛ لتكون مادة في العقيدة السنية والفقه المالكي لتلامذة كتّابه، وكان مؤدبا شهيرا، وقد خاطبه شيخه في مقدمة الرسالة بما يشعر بإجابة طلبه، كما أشار إلى ذلك بعض شراحها عند قوله في المقدمة : «فإنك **سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة، وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك للولدان، كما تعلمهم حروف القرآن**»[29].

فتلميذ ابن أبي زيد هذا محرز التونسي المؤدب، هو أول من أحدث بالقيروان الحزب، قال العلامة الشوشاوي في «الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة» بعد ذكر القول الأول بجواز القراءة جماعة للمازَري - كما سيأتي - : «القول الثاني : الاستحباب، قاله أبو الطاهر الفاسي في تأليف له، قال : أول من سن ذلك بإفريقية «محرز التونسي»[30].

- وقد ظاهر الشيخَ محرزاً في سنه لقراءة الحزب في جماعة مجتمعين معاصرُه وشريكه في القراءة على ابن أبي

---

29 - انظر مقدمة الرسالة ص 7-9 وترجمة عبد الله بن أبي زيد القيرواني في كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الدباغ (3/109 - 121) .

30 - الفوائد الجميلة لعلي بن حسين بن طلحة الشوشاوي ص237 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

زيد الإمام «أبو الحسن القابسي» فقيه القيروان في وقته، فقد نقل صاحب المعيار هذا السؤال والجواب عليه فقال : «وسئل القابسي عن المجتمعين بعد صلاة الصبح يقرأون الحزب من القرآن متفقين فيه، هل يجوز أم لا؟ وكذا في الدعاء عند ختم القرآن ؟ فأجاب : إن كان لما يوجدون في ذلك من القوة والنشاط في الحفظ والدراسة فلا بأس به، ولو قدر على الدراسة خاليا كان أفضل وأسلم، وربما ترك الناس شيئا في الوقت ؛ إذ هو أسلم من غيره»[31].

وهذا ولا شك تدرج جيد وتخريج لقراءة الحزب على أحسن محاملها وأسلمها مما لا يصادم المذهب.

ـ وجاء الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي المازَري كبير المالكية(ت 536 هـ) فأفتى في قراءة القرآن بالاجتماع بصوت واحد بالجواز. قال الشوشاوي بعد نقل ذلك : «ودليله أنه ثبت عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أنهم كانوا يجتمعون على قراءة سورة واحدة بصوت واحد»[32].

قال الفقيه محمد كنوني في الفتاوي : «واستشهد الإمام المازَري بحديث صحيح : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم

---

31 - المعيار (11 / 169) .

32 - الفوائد الجميلة ص237 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

السكينة...» الحديث»، قال : ظاهر الحديث يبيح الاجتماع لقراءة القرآن في المساجد، وإن كان مالك كره ذلك في المدونة ؛ لأنه لم ير السلف يفعلونه، مع حرصهم على اتباع السنة، ولعله من البدع الحسنة كقيام رمضان »[33].

موقف فقهاء الأندلس من القراءة الجماعية

ولم يختلف موقف فقهاء الأندلس عن موقف فقهاء إفريقية والقيروان في تجويز القراءة الجماعية، إذا ما استثنينا الإمام أبا إسحاق الشاطبي في كتاب الاعتصام، وقد تقدم بعض كلامه في ذلك.

ولا يتسع المجال لتتبع أقوال الفقهاء، ونكتفي بذكر ما نقل عن أبي الوليد الباجي شارح الموطإ، وأبي سعيد بن لُبّ شيخ الجماعة بغرناطة وكبير فقهاء الأندلس في زمنه، فإنهما شيخا شيوخ المالكية في عصرهما.

- فأما أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (474 هـ) فقد

---

33 - الفتاوى (142 - 143) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ذهب إلى جوازها، ونقل الشوشاوي عنه أنه قال : «الاجتماع عليها يجوز في مكان خال في ناس قليل»[34].

ونقل في المعيار في سياق كلام أبي إسحاق الشاطبي السابق عن المسألة قوله : «وقال - يعني مالكا - ذلك مكروه»، ثم قال الشاطبي : «قال الباجي : إنما كرهه مالك للمجاراة في حفظه، والمباهاة في التقدم فيه»[35]. وهذا من زعيم المالكية توجيه لقول مالك وربط له بمعرفة قصد القارئ ونيته.

- و أما أبو سعيد بن لُبّ - واسمه فرج بن قاسم بن أحمد بن لُبّ (ت 782 هـ) وهو شيخ الشيوخ بغرناطة وفقيه الأندلس، وأستاذ الجماعة كأبي إسحاق الشاطبي وأبي عبد الله المنتوري وشيخه أبي عبد لله القيجاطي، فقد أبدى وأعاد في هذه المسألة وحررها تحريرا لا مزيد عليه، مجيبا عن فتوى وردت عليه ذكرها صاحب المعيار، فقال :

---

34 - الفوائد الجميلة ص 238 .

35 - المعيار (11 / 116) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فتوى ابن لب شيخ الجماعة بغرناطة

«وسئل عن قراءة الحزب في الجماعة على العادة، هل فيه أجر مع ما نقل فيه ابن رشد من الكراهة ؟ فأجاب : أما قراءة الحزب في الجماعة على العادة، فلم يكرهه أحد، إلا مالك، على عادته في إيثار الاتباع، وجمهور العلماء على جوازه واستحبابه، وقد تمسكوا في ذلك بالحديث الصحيح : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»[36]. ثم إن العمل بذلك قد تضافر عليه أهل هذه الأمصار و الأعصار، وهذه مقاصد من يقصدها فلن يخيب من أجرها :

- منها تعاهد القرآن حسبما جاء فيه من الترغيب في الأحاديث.

- ومنها تسميع كتاب الله لمن يريد سماعه من المسلمين، إذ لا يقدر العامي على تلاوته فيجد سبيلا إلى سماعه.

---

36 - تقدم تخريجه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- ومنها التماس الفضل المذكور في الحديث، إذ لم يخصص وقتا دون وقت.

ثم إن الترك المروي عن السلف لا يدل على حكم ؛ إذ لم ينقل على أحد منهم أنه كرهه أو منعه في ذينك الوقتين - الصباح والمساء .... ولا يعتقد فاعل ذلك أنه يقدم على مكروه تقليدا لمالك، بل يعتقد معنى الحديث المتقدم وتقليدَ من يستحب ذلك ويستحسنه.

وثَمّ بدع مستحسنة، لا سيما في وقت قلة الخير وأهله، والكسل عن قوله وفعله، لطف الله بنا ومنّ علينا بصلاح أحوالنا بمنّه وفضله »[37].

وهكذا حسم الفقيه ابن لب في المسألة، وأبان بما لا مزيد عليه في الجواب عما قد يورده المعترض، وأماط اللثام عن وجه تفرّد مالك - رحمه الله - بالقول بالكراهة، كما أماطه عن تضافر العمل بذلك عند أهل هذه الأمصار و الأعصار، وكشف عن المقاصد الثلاثة التي تتوخّى من فعلها، وهي كلها مقاصد «لا يخيب من أجرها من قصدها» كما قال رحمه الله.

---

37 - المعيار (1/ 155 - 156) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دخولها فيما عليه العمل

وقد حفلت كتب المتأخرين بالإشارة إلى دخول هذه القراءة في الحياة العامة في الغرب الإسلامي، واستقرار العمل عليها منذ أيام الموحدين ابتداء من أول المائة السادسة، فقال ناظم أرجوزة «ما جرى به العمل بفاس» :

والـذكر مع قـراءة الأحـزاب

جمـاعـة شاع مـدى أحقاب

وقال الإمام الزقاق في نظم العمل المطلق في المغرب :

وجاز أن يجتـمع القـرَّا علـى

كـالحـزب يقـرأونـه مـرتّلا

وقال الأديب الفقيه محمد الطاطي في أرجوزة التأنيب :

قـراءة النـاس بـصـوت واحـدِ

مجـتـمعين مـثـلا بمسجـدِ

أو غيره فيها خلاف مستطَر

بين رجال العلم أنجم البشَـر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فمالك إلى الكـراهة ذهبْ

كما حكاه النووي وابن رجبْ

وذاك مقتـضى كلام المتّـقي

سحنون عن ذاك الإمام العتقـي

وهو الذي شهّره في المختـصر

أبو المـودة خـليلُ المشتهـر

والنووي مال إلى استصـحابِ

مذهب من قال بالاستحبـابِ

وجاء هذا القـول في التبـيانِ

عن غير مـالك من الأعيـانِ

قلت : وقد جرى بهذا المذهبِ

عمـلُنا معشرَ أهل المغـربِ

من عهـد مـهديّ الموحديـنا

وهو مـن أعظـم المحقـقينـا

لـظـاهر الأخـبـار والأثـــار

وتبعـا للسـلف الأخـيـار

والمنعُ عن جميعهم إن تشتمِل

على الزيادة أو النقص نُقـل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تقويم لما أثر عن الإمامين مالك والشاطبي من كراهة قراءة الجماعة

وإننا حين نقوّم موقف كل من الإمام مالك والإمام أبي إسحاق الشاطبي تبعا له من القراءة الجماعية باعتبار تعليلهما لقولهما بكراهتها بكونها «لم تكن من عمل الناس» أو «لم تكن من العمل القديم»، فإننا نلاحظ في هاتين العبارتين نوعا من الإجمال سيجعلهما غير واضحتي الدلالة على القصد ؛ لأنه إن كان المراد بهما أنها لم تكن على عهد الصدر الأول من الصحابة والتابعين، فهذا أمر يرده الواقع التاريخي، وقد بينا بما فيه الكفاية أنها كانت على عهد خلافة الراشدين، وأن أبا الدرداء الصحابي الجليل (ت 32هـ) «كان يَدْرُس القرآن معه نفر يقرأون جميعا».

وتقدم قول الحافظ الذهبي عنه : «أنه هو الذي سنّ الحلق للقراءة».

وأخرج الطبراني في معجمه الكبير بسند على شرط الشيخين عن أبي رجاء العطاردي قال : كان أبو موسى الأشعري (ت 44 هـ) يقرئنا فيجلسنا حلقا...»[38].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وتقدم أن مقرئ أهل الشام و إمامها من القراء السبعة ـ وهو عبد الله بن عامر (ت 118 هـ) ـ كان أحد عرفاء حلق أبي الدرداء التي يؤخذ فيها بأسلوب «الدراسة»، وهو من فضلاء التابعين، كما تقدم أن ممن كان يحضرها إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر والي عمر بن عبد العزيز ثم هشام بن عبد الملك على إفريقية، وهو أيضا من فقهاء التابعين (ت 132 هـ)، ومن تلاميذه ابن عامر المذكور. وجاء في خبر عند الحافظ ابن عساكر أن أول ما ظهرت «الدراسة» ـ أي قراءة الجماعة ـ كان على يد هشام بن إسماعيل المخزومي ـ من التابعين ـ حين قدم الشام على الخليفة عبد الملك بن مروان، فحجبه ولم يأذن له، فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق، وعبد الملك في الخضراء ـ دار الإمارة بدمشق ـ فأُخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء، فقرأ هشام بن إسماعيل، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام، فقرأ بقراءته مولى له، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد، فقرأ بقراءته»[39].

ويذكر ابن عساكر رواية أخرى تقترن بقارئ أهل دمشق وإمام القراءة بها بعد ابن عامر، وهو «يحيى بن الحارث الذماري» ـ من التابعين (ت 145هـ) ـ قال عبد الملك بن العلاء : «كنا ندرس في مجلس يحيى بن الحارث في مسجد

38 - انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1 / 23) .
39 - تاريخ دمشق لابن عساكر (2 / 49) والتبيان ص 57 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دمشق في خلافة يزيد بن عبد الملك (101 - 105 هـ) إذ خرج علينا أمير دمشق الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب، فأقبل علينا منكرا لما نصنع، فقال : ما هذا، وما أنتم ؟ فقلنا : ندرس كتاب الله، فقال : تدرسون كتاب الله تعالى ! إن هذا لشيء ما سمعته ولا رأيته، ولا سمعت أنه كان قبلُ»[40].

فهذه وقائع متفرقة فيما نرى، كلُّها تدل على قدم استعمال القراءة الجماعية منذ العقود الأولى من القرن الأول، كما تدل على استحسان المعلمين لها، وهم أهل الميدان الذين أدركوا أهميتها وفعاليتها وما فيها من التيسير على المعلمين في العرض، وفيهم عدد من الصحابة والتابعين، وهذا في نظرنا كاف في إثبات أنها «من عمل الناس» و«من الأمر القديم»، لكنها لم تكن واسعة الاستعمال إلى هذا الوقت، كما أنها في نظرنا ليست مستعملة عند قراء المدينة، وإنما كان الرجل يقرأ على الآخر يعرّضه كما تقدم في قول الإمام مالك.

والجواب عن الاعتراض بكونها لم تكن بالمدينة أمره سهل ؛ إذ يمكن أن يكون السبب عدم قيام الدواعي لذلك بها، وجريان الناس فيها على ما كان معروفا في عهد النبوة.

أما في الشام والأمصار الأخرى فالأمر مختلف، نظرا لتوفر الدواعي بسبب كثرة المتعلمين وعدم وجود عمل سابق

---

40 - تاريخ دمشق (2 / 52) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقائم يحول دون اصطناع نمط من التيسير على المعلمين ولا هناك ما يحول دونه، ونحن نجد في كلام الإمام أبي إسحاق الشاطبي نفسه ما يُخْرِج ما لم تقم الدواعي على ظهوره من أن يصدق عليه الوصف بأنه بدعة محدثة، و أن تتوجه إليه الكراهة لهذه العلة.

فعندما تعرض في كتابه القيم «الموافقات» لذكر البدع، ذكر أن المسكوت عنه في الشريعة على وجهين :

ـ أحدهما أن تكون مظنة العمل به موجودة في زمان رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يشرع له أمر زائد على ما مضى فيه، فلا سبيل إلى مخالفته، فمن استلحقه صار مخالفا للسنة.

ـ والثاني : أن لا توجد مظنة العمل به ثم توجد، فيشرع له أمر زائد يلائم تصرفات الشرع في مثله، وهي المصلحة المرسلة، وهي من أصول الشريعة المبني عليها ؛ إذ هي راجعة إلى أدلة الشرع حسبما تبين في علم الأصول، فلا يصح إدخال ذلك تحت جنس البدع»[41].

وهكذا نرى أن الدواعي التي هي المراد عند الشاطبي بمظنة العمل لم تكن موجودة بالمدينة في عهد النبوة، ولا في الصدر الأول بوجه عام، لكنها وُجدت في غيرها،

41 - الموافقات : كتاب الأدلة الشرعية ومسائله (3/59)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فاقتضى الحال الأخذ بقراءة الجماعة باعتبارها أسلوبا ناجعا في العرض والتعليم، بما يلائم تصرفات الشرع في مثلها، ومعنى ذلك أنها بهذا الاعتبار داخلة في المصالح المرسلة، ولا يصح إدخالها في جنس البدع بحال من الأحوال.

وتطبيقات هذا المنحى في اجتهادات الإمام مالك التي نقلت إلينا كثيرة، لا سيما فيما يشبه ما نحن فيه مما توفرت فيه الدواعي على منهاج معين لتغيير الأحوال، فاقتضت قواعد الشريعة السمحة الاستجابة لها بما يلائم تلك الأحوال ويستجيب لمقتضياتها الشرعية.

فقد أفتى مالك في أمور دعا إليها التطور في شأن تيسير التعليم مما يتعلق بكتابة المصحف، وما أدخل عليها من علامات، وهي أمور شديدة الحساسية، ففرَّق بين ما يراد إدخاله في المصاحف الأمهات من نقط الإعجام، ونقط الإعراب، وتعشير الآيات، وكتابة أسماء السور في أولها، مع عدد آيها فمنع منه، وبين المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الغلمان، فقال : لا أرى بذلك بأسا، وهذا مما خالف فيه مالك ما كانت الفتوى عليه قبله من كراهة ذلك على الإطلاق عند عدد من الصحابة والتابعين[42].

---

42 - انظر كتاب المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني ص 16 ـ 17 ـ 19 ـ 20 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كما أفتى مالك في الإسراع بالقراءة، وهو ما يعرف عند القراء باسم «الحدر»، وهو مما يَطعن به المشاغبون على قراء الحزب أيضا، قال العلامة المقرئ الحسن بن قاسم المعروف بابن أم قاسم المرادي (ت 749 هـ) في كتابه «عمدة المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد» للسخاوي :

«وسئل مالك ـ رحمه الله ـ عن الهذِّ في القرآن ؟ فقال : من الناس من إذا هذّه كان أخف عليه، وإذا رتّل أخطأ، والناس في ذلك على ما يخفُّ عليهم، وذلك واسع».

قال القاضي أبو الوليد الطرطوشي : معنى هذا أنه يستحب لكل إنسان ما يوافق طبعه ويخف عليه، فربما تكلف ما يخالف طبعه ويشق عليه، ويقطعه ذلك عن القراءة والإكثار منها، فأما من تساوى في حقه الأمران فالترتيل أولى»[43].

فانظر إلى هذه المرونة في الفتوى من الإمام مالك، وكذلك إلى ما شرح قوله به الطرطوشي، وكيف لاحظا فيه جانب القارئ وما يشق عليه مما لا يشق، وكيف خافا عليه في الترتيل من الخطإ إذا لم يكن معتادا له، وخاف الطرطوشي أن يكون إلزامه بالترتيل يؤدي إلى أن يثقل عليه فيقطعه عن القراءة والإكثار منها، وأضف إلى ذلك قول الإمام مالك : «وذلك واسع»،

43 - كتاب المفيد ص 96 ـ 97 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وانظر كيف يجازف المشاغبون في الحكم على قراءة الجماعة بالهذّ - أي : الحدر- بأنها قراءة بدعية محدثة، وقابل أنت بين الموقفين!

وأبين مما رأيناه عند مالك دلالة على أن كراهته لما لم يكن فكان، إنما هي فيما لم تثبت عنده مصلحته المرسلة، ما جاء عنه في الفتوى بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن واحتجاجه له، مع ثبوت النهي النبوي صريحا في حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -.

قال النووي في التبيان : «واحتج من منعها بحديث عبادة بن الصامت أنه علم رجلا من أهل الصّفَّة القرآن، فأهدى له قوسا، فقال له النبي - ﷺ - إنّ سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها، وهو حديث مشهور رواه أبو داود وغيره، وبآثار كثيرة عن السلف»[44].

أما مالك فقال صاحبه الفقيه عبد الله بن وهب :

«كنت جالسا عند مالك، فأقبل إليه معلم الكتّاب فقال له : يا أبا عبد الله، إني رجل مؤدب للصبيان، وإنه بلغني شيء، فكرهت أن أشارط، وقد امتنع الناس عليَّ وليسوا يعطونني كما كانوا يعطون، وقد أضررت بعيالي، وليس لي

---

44 - التبيان ص 30.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حيلة إلا التعليم. فقال له مالك : اذهب فشارط. فانصرف الرجل، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله، تأمره أن يشارط على التعليم ؟ فقال لهم مالك : نعم، فمن يُحفّظ لنا صبياننا ؟ ومن يؤدبهم لنا ؟ لولا المعلمون، أي شيء كنا نكون ؟»[45].

وهكذا لم يلتفت الإمام مالك إلى دلالة حديث عبادة بن الصامت وما تضمنه من الوعيد، والتفت إلى تغير الحال وما ينتهي إليه المآل من امتناع أكثر المعلمين من التعليم إلا بأجر، من ضياع للقرآن الكريم بذلك.

وجوب النظر في المآل

وكما نظر مالك ـ رحمه الله ـ في مآل القضية حين تغيرت الحال الأولى، حيث صار الإفتاء بمنع أخذ الأجرة على تعليم القرآن يفضي في النهاية إلى تقلص عدد المعلمين بالمجان، ويفضي بالتبع إلى ضياع القرآن، ولذلك نراه يقول : فمن يحفظ لنا صبياننا... إلخ.

---

45 - الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين لأبي الحسن القابسي ص 296 ـ 297.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقد علق الإمام أبو الحسن القابسي هنا على أن الأجرة على تعليم القرآن لا يتناولها ما يُفهم من مثل قوله تعالى : (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)[46] فقال : «وإنما الإجارة على تعليمه إجارة البدن المشتغل بذلك، وليس ثمنا للقرآن، كما أن بيع المصاحف إنما هو بيع للرقوق والخط والصنعة، وليس بيعا لما فيها...»[47].

كما التفت القابسي أيضا إلى اعتبار المآل، فقال في نفس التعليق على إجازة أخذ الإجارة على هذا ومثله : «ويشُدّ ما في هذه الحكاية عن مالك ما ذكره ابن سحنون قال : حدَّثونا عن سفيان الثوري عن العلاء بن السائب قال : قال ابن مسعود : ثلاث لا بد للناس منهن : من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم، ويأخذ على ذلك أجرا، ولولا ذلك كان الناس أميين...»، قال القابسي : «يريد : لولا المصاحف لنسي القرآن، وهذا يشُدّ لك قولي، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور»[48].

قلت : إنها هي الضرورة ذاتها القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور في بلادنا اليوم، إذا ما أخذ الناس

---

46 - البقرة : الآية 40 .
47 - الرسالة المفصلة ص 302 .
48 - الرسالة المفصلة ص 296 ـ 297 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بترك القراءة الجماعية، سواء في التعليم بطريقة «الأسوار»، أم في تعاهد القرآن بطريقة «الحزب الراتب» في المساجد وغيرها، وتلك هي النتيجة والعاقبة التي لا مفر من حدوثها، وذلك هو المآل الحتمي للدعوة إلى إلغاء الحزب الراتب وإشاعة الدعوى المشاغبة ضده، بأنه بدعة، وأنه من المحدثات التي جاء الوعيد الشديد في حقها، وأن مالكا ـ رحمه الله ـ صرح بإنكاره وكراهته ومخالفته للسنة، وغير ذلك مما بينا وجهه وتوجيه غيرنا له من العلماء.

وقد عرفنا بالخبرة والمعايشة ما حصل لطائفة من حملة القرآن الحذاق في حفظه في الصغر، من نسيانهم شبه الكامل له، وإنما ذلك بسبب انصرافهم إلى مشاغل ووظائف لم يعودوا معها على صلة بقراءة الحزب في أوقاته المعلومة، لا اعتقادا منهم بعدم المشروعية، وإنما للصوارف الدنيوية التي صرفتهم، فصار بعضهم إلى الحال التي قال فيها القابسي : «هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن»، ولا شك عندنا أن الدعوة إلى ترك القراءة الجماعية في المجامع والمساجد تنتهي حتما وبصورة تلقائية إلى ترك تلاوة القرآن بالمرة، كما أن الدعوة إلى ترك قراءة الحزب في المساجد تنتهي بقصد أو بغير قصد إلى هجر القرآن بشكل نهائي، وإخراجه من المساجد، وتركها خاوية على عروشها من تلاوته بالعشي والابكار، وما ذلك إلا لأن اشتهار المغاربة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بالحفظ المتين إنما مردّه إلى توافر تلك العوامل التي نوّهنا بها طوال تاريخنا المجيد، ومنها اعتماد القراءة الجماعية في التعليم، واعتماد الحزب الراتب في التعاهد، على ما جاء به الحديث النبوي الشريف عن أبي موسى الأشعري عن النبي ـ ﷺ ـ قال : «تعاهدوا هذا القرآن، فالذي نفس محمد بيده، لهو أشدّ تفلتا من الإبل في عقلها »[49].

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

نبذة عن ظهور الحزب في المغرب وتعاقب الدول على اعتماده

ومن المفيد أن نعزز عرضنا عن الحزب الرّاتب بنبذة تاريخية عن انتشاره في المغرب والأندلس وغيرهما، واعتماد الدول المتعاقبة له.

ـ فقد قال أبو إسحاق الشاطبي (ت 790 هـ) في حديثه عما أحدثه محمد بن تومرت مهدي الموحدين (ت 524 هـ) :

---

49 ـ متفق عليه : صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن، باب القراءة عن ظهر قلب (4/1921) . وصحيح مسلم : فضائل القرآن وما يتعلق به، باب الأمر بتعاهد القرآن (1/545) ح 791 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«ونقل أيضا إلى المغرب الحزب المحدث بالإسكندرية، وهو المعتاد في جوامع الأندلس وغيرها، فصار ذلك كله سنة في المساجد إلى الآن»[50].

- وذكر المؤرخ ابن القطان في كتابه «نظم الجمان».

أن عبد المؤمن بن علي (ت 558 هـ) خليفة المهدي من بعده «كان في تأديبه لبنيه يأخذهم بحضور الصلوات الخمس في الجماعات، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة »[51].

- وذكر ابن صاحب الصلاة في تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين :

«من مآثر يوسف بن عبد المؤمن الموحدي في بلاد الأندلس قوله : «وألزم الحفاظ من الموحدين وغيرهم عند المساء وعند الفراغ من صلاة الصبح الحزب، واشتدّ عليهم في ملازمة ذلك بأعظم الاشتداد واللزب»[52].

- وقال المؤرخ ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب في الحديث عن خروج يوسف بن عبد المؤمن بجيشه من مراكش :

---

50 - الاعتصام للشاطبي (2 / 331) .
51 - نظم الجمان لابن القطان ص 173 .
52 - تاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ص164 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«أمر الناس بالحركة، فصلى أمير المؤمنين صلاة الصبح وقرئ الحزب على العادة» [53].

- وذكر المؤرخ عبد الواحد المراكشي في كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» من مراسيم الموحدين في مواكبهم الملوكية أنهم «كانوا إذا سافروا لا يزال القرآن يقرأ بين أيديهم بالغدو والعشي ركبانا، فإذا ركبوا افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل، وهم سائرون سيرا رفيقا» [54].

- وذكر ابن عذاري أنهم أنشأوا لطلبة الموحدين جناحا خاصا في البلاط الرسمي، وكان يسمى رياض الحزب» [55].

وذكر في عهد المستنصر بن الناصر الموحدي صدور مرسوم خلافيّ منه سنة 617 هـ إلى البلاد المغربية والأندلسية عند توليه الخلافة، من إنشاء كاتبه أبي جعفر بن عطية، جاء فيه قوله :

«واستحفظوا الكافة صلواتهم، فإنها الكتاب الموقوت على المؤمنين، وخذوهم باعتياد المساجد، فإنها الشاهد الأزكى بشهادة خاتم النبيئين وسيد المرسلين، واطلبوهم بقراءة

---

53 - البيان المغرب - قسم الموحدين - ص 56 .
54 - المعجب ص 415 .
55 - البيان المغرب - قسم الموحدين - ص 313 - 465 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق، فإنه الخير المألوف، والشعار المعروف، والرسم الذي عليه العمل، والعهد الذي لا يجب فيه التغيير والخلل»[56].

وفي مصر والأزهر الشريف

وفي مصر وما يليها من البلاد استمر العمل بقراءة الحزب، وعرف في المساجد والمعاهد المشهورة، فقد تقدم ذكر ما عرف بالإسكندرية في عهد الإمام مالك في المائة الثانية، لكن انتشاره إلى غيرها بات معروفا، ونفس الطريقة التي تقدم أن المؤدب محرزا التونسي قد سنّها وزكاها صاحبه القابسي، وهي قراءة حزب بعد صلاة الصبح في الصباح.

وقد ذكر الرحالة المغربي أبو عبد الله بن بطوطة الطنجي في رحلته في الثلث الأول من المائة الثامنة، أنه لما كان بمصر سافر من (أخميم) إلى مدينة (هو) مدينة كبيرة على ساحل النيل، قال :

56 - البيان المغرب ـ قسم الموحدين - ص 267 ـ 268 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«ونزلت منها بمدرسة تقي الدين ابن السرّاج، ورأيتهم يقرأون بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزبا من القرآن»[57].

وبقي الحزب معروفا بمصر والأزهر الشريف تصرف أوقافه المحبسة عليه للحزابين المعيّنين.

- وفي رحلة العلامة أبي العباس أحمد بن محمد الهواري القاضي بالمحكمة الشريفة صدر القرن الماضي قال وهو يتحدث عن جامع الأزهر :

«وللطلبة كغيرهم في الأزهر أوقاف يتناولون خراجها للاستعانة به على ضروراتهم، كما أن لهم على قراءة الحزب خراجا يعرف بـ (الرّبعة) قدره من خمسين إلى ستين قرشا في الشهر»[58].

وفي تونس والجامع الأعظم (جامع الزيتونة)

- وفي المعيار : «ووجد بخط ابن بزيزة - وهو عبد العزيز بن إبراهيم التونسي عرف بابن بزيزة (ت 663 هـ) - قال : «قد استمر العمل ببلدنا - تونس - على قراءة سبع القرآن بالجامع

---

57 - رحلة ابن بطوطة (1 / 87) .

58 - الرحلة ص71 - طبعة الرباط سنة 1934م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأعظم بعد صلاة الصبح إلى أول الإشراق، والقراءة من الزوال إلى العصر، ومن العصر إلى غروب الشمس، أمر دائم معمول به».

ثم قال صاحب المعيار على سبيل الاستطراد :

«قيل : وأحدث ابن عرفة (ت 803 هـ) سُبُعين : في الجامع بعد الظهر، وبعد العصر في المقصورة الغربية، وكذا أحدث ابن البراء فيها حزبا »[59].

وابن البراء المذكور هو قاضي الجماعة أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي المهدوي (ت 677 هـ)[60].

الأوقاف على قراءة الحزب في فاس وغيرها

وقد عملت الدول المتعاقبة على الحكم بالمغرب والأندلس على دعم قراءة الحزب برصد الأوقاف والأرزاق الدائمة للحزابين، وصرفها لهم على أيدي النظار القائمين على الأحباس عبر العصور، كما كان لبعض الملوك اهتمام

---

59 - المعيار (11 / 174) .

60 - ترجمة بعد ترجمة ابن بزيزة المذكور قبله في شجرة النور الزكية لابن مخلوف 190 ـ 191 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بقراءة الحزب في بعض أروقة قصورهم، ولاسيما عند ملوك المرنيين كأبي الحسن علي بن عثمان وولده أبي عنان فارس.

ويذكر العلامة ابن مرزوق وجود دار للحزب في البلاط المريني بفاس، كما يذكر اسم أحد الحزابين فيقول فيه :

«الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن عباد المراكشي، وكان أحد طلبة الحزب، وغاية في حسن الصوت »، يعني في بلاط أبي الحسن المريني[61].

وقد ساق المؤرخ أحمد بن القاضي أخبارا أجمل فيها عناية ملوك هذه الدولة والتي بعدها بالتحبيس على الحزابين، فقال مشيرا إلى ملوك بني مرين : «ومن بقايا آثارهم في ذلك «ساباط موضع الحزابين» بالقرويين بفاس بشرقي الجامع، أمر بها المستعين - رحمه الله - فإنه أقامها على ساباط هناك، ورتب فيها القراء يختمونه بطول سبعة أيام بطول الأزمان، وأجرى لهم على ذلك جرايات، وتم عمل الزاوية المذكورة في أواخر شهر رمضان سنة 762 هـ[62].

ونقل مثله القادري في نشر المثاني، وقال : «أمر ببنائها المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني[63].

---

61 - انظر كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق ص241.

62 - جذوة الاقتباس (1 / 74) .

63 - نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني (3 / 61 ـ 62) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفي فاس أيضا على عهد المرينيين على مقربة من القصر الملكي أسس يعقوب المريني مسجدا عظيما هو «الجامع الكبير» الذي لا يزال قائما لحد الآن، وقد ألحقت به أوقاف للحزب الراتب فيما بعد، وبعضها مما وقف على قراءة ختمة من القرآن كل أسبوع، وقد نقش على لوحة عند الجدار شمال قبلة الصف الثاني بهذا الجامع وقفية جاء فيها :

«أمر ببناء هذا السبع السلطان أمير المسلمين المستنصر بالله أبو فارس بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني، لتلاوة الكتاب العزيز ختمة في كل أسبوع مرة، وعين لذلك اثنا عشر طالبا ممن يجيد التلاوة، ويقوم بحفظ القرآن، على أن يكون لكل واحد منهم ستون درهما فضية في كل شهر، جارية من الأحباس المعينة لذلك...».

وتاريخ الوقفية 17 ربيع الأول عام 798هـ[64].

وكلمة «السبع» المذكورة في الوقفية قد صحح الأستاذ محمد المنوني - رحمه الله - أنها كانت تطلق ابتداء من هذه الفترة على المكان الذي يقوم فيه القراء بختم القرآن الكريم مرة في كل أسبوع حيث يقرأون في كل يوم سبعا واحدا حسب

64 - انظر ورقات عن حضارة المرينيين للأستاذ محمد المنوني ص28 - 29.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تجزئة متعارفة لديهم. قال : «جاء في «الروض الهتون» لدى الحديث عن أعمال أبي زكريا الوطاسي بمدينة مكناس :

«وأنشأ بجامعها المجلس المسمى بالأسبوع ؛ لكون القرّاء يجتمعون فيه لقراءة القرآن العزيز في كل أسبوع»[65].

وقال ابن القاضي في الجذوة :

«وأما قراءة الحزب فيه - جامع القرويين - بعد صلاة الصبح والمغرب، فكان أمر به يوسف بن عبد المؤمن بن علي في سائر بلاده، واستمر ذلك إلى أيام أبي الحسن المريني، فأمر إذ ذاك فرتب عشرة أشخاص».

«وأما زاوية الحزابين الكائنة بقرب الجامع، فالذي أحدثها هو الإمام عبد الله بن محمد الشريف الحسني - من السعديّين - أحدثها بين السبعين والتسعمائة، وأعدّ لها جرايات على ذلك - نفعه الله بقصده - وعيّن أن تقرأ بها ختمة في كل شهر على عادة المحراب، وسورة الكهف في كل يوم جمعة بعد صلاة العصر»[66].

وهكذا استمر الحال في دولة السعديين ودولة الأشراف العلويين في سائر الحواضر والبوادي.

---

65 - ورقات عن حضارة المرينيين ص29، وانظر الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لمحمد بن غازي العثماني ص41

66 - جذوة الاقتباس (1/ 75) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الاستفادة من أوقاف الحزب والفتوى فيها

وقد سارت الفتوى مع ما جدّ على الأوقاف على الحزب صيانة لحرمتها وعناية بها.

- ففي غرناطة سئل الأستاذ أبو سعيد بن لبّ عن قوم مرتين لقراءة الحزب يقع منهم التفريط في الحضور لذلك على تفاوت كثير، حتى تمرّ على بعضهم الشهور والأعوام ولم يحضر، هل يجوز له أخذ الجراية عليه أم لا ؟

فكان الجواب بأنه «إن كان ذلك هو الغالب عليه، فقد بعد عن استحقاق الجراية»[67].

- وفي فاس : «سئل فقيهها الشهير أبو محمد عبد الله بن محمد العبدوسي فأجاب بخطه في أواخر شوال سنة 832 هـ عن حكم من سكن المدرسة، وهو يشتغل بصنعته ولا يقرأ، يعني في انتفاعه بالحبس بالسكنى في المدرسة ؟

فأجاب بأنه لا يجوز تركه، قال :

«وإنما يسكن المدرسة من بلغ عشرين سنة فما فوقها،

---

67 - المعيار (8/367 - 368).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأخذ في قراءة العلم ودرسه بقدر وسعه، ويحضر قراءة الحزب صبحا ومغربا...»[68].

- وفي سوس رفع نص استفتاء إلى الفقيه محمد بن سعيد المرغتي عن التمر المحبس على ليلة ختم الحزب الراتب فيما جرى عليه بعض الجهات من تحبيس النخل على الليلة التي يختم القرآن فيها، وهي ليلة استهلال الشهر، وحبسوها على من حضر الختم قارئا أو غيره... قال :

وقَلّت الطلبةُ فصارت العامة يأخذون ذلك التمر، فهل يجوز لهم ذلك ؟

فكان من جواب الفقيه : «إن التمر المحبس على قراءة الحزب يأكلونها عند الختمة، سواء كان على رأس الشهر أو في غيره جائز، ومراد المحبس أن يأكله كل من حضر الختمة على وجه الصدقة والمعروف، فيستوي في ذلك الطلبة الملازمون للحزب، والطلبة غير الملازمين له، والحاضرون للختمة من العامة والضيفان والصبيان، ولا حرج في ذلك ؛ لأن مقصود المحبس به الصدقة ونيل البركة من الختمة والحزب والدعاء لهم، وذلك يستوي فيه الجميع والحمد لله، وعلى ذلك أدركنا المتقدمين يفعلون ذلك في البلاد السوسية

---

68 - المعيار (7/ 7) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التي فيها التمر والعنب، فإن الفضلة الباقية من العام الماضي تقسم على الطلبة الملازمين للحزب، ولا يشركهم فيها غيرهم، إلا المؤذن المحتاج القائم بحق الأذان وحق المسجد ؛ لأنه من جنس الحزّابين، فلا يجوز إعطاؤها للإمام وحده، ولا للمساكين...»[69].

أنواع الحزب الراتب

1 ـ وقد اختلفت الطرائق في مقدار ما يقرأ في الحزب الراتب في مختلف البلدان والأزمان، فقد رأينا الحزب الذي كان الشيخ محرزٌ ـ فيما قيل ـ أول من سنه بإفريقية، يقتصر على حزب في الصباح، ومر بنا ذكر أحزاب أخرى وقفت عليها أوقاف في أوقات معينة، ومر بنا الحزب الشهري الذي يدور مع الشهر القمري، وهذا هو الذي غلب في الاستعمال منذ القديم، وعليه وقف أكثر الأوقاف قديما في الحواضر المغربية.

2 ـ ثم ظهر الحزب الناصري للشيخ أبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي (ت 1129 هـ) منذ دولة المولى إسماعيل في الثلث الأول من المائة الثانية عشرة، ويختم كل خمسة وثلاثين يوما ؛ لأنه يستثني مساء الخميس وصباح الجمعة

---

69 - المجموعة الفقهية لمحمد المختار السوسي ص 117 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فتقرأ فيهما سُوَرٌ معينة، وبذلك يختم على الدوام مساء يوم الأحد[70].

3 - وظهر بسوس الحزب السملالي عند أولاد سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1052هـ) ولكنه ليس واسع الانتشار، ويختم في كل خمسة وثلاثين يوما، ويختم على الدوام مساء الأربعاء[71].

4 - وظهر بالسمارة والصحراء المغربية حزب الشيخ ماء العينين، وقد وصفه حفيده الشيخ ماء العينين بن العتيق في حديثه عن وقائع رحلته الحجازية، وصورته كما في رحلته المدونة : «أن يقرأ اثنان جهرا، وباقي الجماعة سرا، ويقرأ في كل ليلة ثلاثة أحزاب، فيقع الختم في ثلاث جمعات، ويقع الابتداء في القراءة بعد صلاة العشاء ليلة الخميس، ثم لا يزال يقرأ بعد صلاة الصبح والمغرب والعشاء الحزب، وتقرأ معه بعد المغرب والصبح سورة «يس» وسورة «الصف» ثم سورة «قريش» ثلاثا، ثم ترفع الجماعة أيديهم للدعاء، ويدعو أحد القارئين بعد أن يقرأ الفاتحة خمس مرات، فيقع الختم ليلة الخميس في ثلاثة أسابيع»[72].

---

70 - انظر كتاب المدرسة الأولى للشيخ صالح بن عبد الله الإلغي ص71 ـ 78 وكتابنا حياة الكتاب وأدبيات المحضرة (2 / 759 ـ 760) .

71 - المدرسة الأولى ص 78 .

72 - الرحلة المعينية ص95 ـ 96 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعرفت قراءة الحزب بالروايات في المساجد الكبرى في أكثر الحواضر المغربية كفاس ومكناس والرباط وسلا ومراكش وغيرها، وكانت لها في جميع هذه الحواضر مرتبات تصرف من الأوقاف للقائمين بها.

ولعل من أقدمها ما كان بفاس ومكناس ؛ لوفرة القراء بها ومكانتهم من تشجيع الدولة على الحفاظ على هذه الروايات والتنويه بحفاظها الذين كانوا في حاجة إلى مثل هذه الرعاية.

وقد عرفت فاس بصفة خاصة منذ صدر دولة بني مرين ازدهارا للقراءات بها، ولا أدل على ذلك من اشتمالها على مدرسة خاصة بها منذ هذا العهد تسمى مدرسة «السبعيين» وهي متصلة بمدرسة الصهريج الواقع غربي جامع الأندلس. قال الأستاذ المنوني : «وكانت لسكنى طلبة القراءات السبع، ولذلك تسمى في الوثائق القديمة بمدرسة الأساتيذ، وقد تسمى بالمدرسة الصغرى»، قال :«والمدرستان معا من تأسيس أبي الحسن المريني أيام ولايته العهد، ويرجع تاريخ الأمر بإنشائهما إلى عام 720 هـ»[73].

ويدل ما ذكره الأستاذ المقرئ السيد إبراهيم الهلالي -

73 - ورقات عن حضارة المرينيين ص240 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

رحمه الله ـ عن فاس ومكناس على قدم وجود قراءة الحزب السبعي هنالك، إلى أن وقع التفريط في استمراره، فوفّق الله المولى عبد الرحمن بن زيدان مؤرخ الدولة العلوية في عهد السلطان محمد الخامس ـ رحمه الله ـ فتدخل لدى وزارة الأحباس بالرباط في شأن إحياء هذا الحزب الذي كان يتلى بمدينة مكناس يوميا بالمسجد المحمول على صابة السبع، ويوجد مدخله في الصف الأول من المسجد الأعظم، وكان هذا المحل ـ كما ذكره ـ خاصا بالقراءات السبع. قال الأستاذ الهلالي : «ومع توالي الأيام لم يعد يقرأ فيه أحد، وكان الشيخ الوقور الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدي، والأستاذ الشريف مولاي أحمد ـ فتحا ـ العلوي المدعو الخبيزي يتطوعان بقراءة القرآن الكريم بقراءات القراء السبعة في كل جمعة بكرسي سيدي الكلاعي بالمسجد الكبير، كما كان خمسة من الأساتذة يقومون بنفس العمل يوم الجمعة بمسجد باب البرادعيين بباب المنار، وهم : محمد بن فضول السقاط، ومحمد بن البشير، ومحمد بن الطيب ابن الفقيه الفيلالي، والعدل الفقيه عبد القادر بن المعطي السفياني المدعو الصبيع، ومحمد بن أحمد ابن الفقيه الفيلالي». قال : «وكان الشيخ الوقور أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدي من جلساء المؤرخ ابن زيدان، فاقترح الشيخ الحميدي على ابن زيدان التدخل لدى وزارة الأحباس لجمع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هؤلاء الأساتذة الخاصين بالقراءات السبع، وذلك في حزب رسمي، وهكذا استجابت وزارة الأحباس إلى رغبة المؤرخ ابن زيدان، فأسس هذا الحزب رسميا، وخصص له موضع العنَزة بالمسجد الأعظم»، قال : «ولا زال أساتذة هذه القراءة يتبعونها في العنَزة »[74].

وقد عبر الأستاذ الهلالي - رحمه الله - عن بالغ الأسف على ما وقع بعد هذا من تراجع العناية بهذا الشأن، وقال في هذا السياق : «فحزب السبع الذي كان يُتلى بباب منار القرويين بفاس، كان آخر الأساتذة به الفقيه السيد محمد بن عبد الله، ومنذ أن فارق هذا الأستاذ الحياة - رحمه الله - ترك هذا الحزب ولم يعوّض. وفي مكناس حزب السبع الذي يتلى بالعنَزة بالمسجد الكبير، قرأت فيه مع عشرين أستاذا، ولم يبق منهم إلا ثلاثة»[75].

ويذكر الأستاذ عبد الله الجراري - رحمه الله - في كتابه «متعة المقرئين» ما كان بمدينة الرباط أيضا من الحزب السبعي الراتب، ويذكر ممن كان يقوم به بعض القراء، ومنهم الأستاذ المكي بربيش رحمه الله.

---

74 - انظر كتاب التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام للشيخ الأستاذ إبراهيم الهلالي ص85 .

75 - التبيان ص85 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خاتمة

وهكذا دخل الحزب الراتب عبر القرون في النظام العام للمساجد، وانتظم في الحياة اليومية للناس، ووقفت له الأوقاف في الحواضر والبوادي، ودخل في العرف الشعبي باعتباره وظيفة للمسجد داخلة في ما يسمى «الشرط» الذي يتعاقد فيه أهل الحي أو الجماعة مع إمام المسجد ولا يجوز له الإخلال به.كما أنه أمسى عند حفاظ القرآن بمنزلة الورد اليومي الذي يلتزم به بصفة دائمة. وقد شاع عن الشيخ أحمد الناصري الدرعي الذي يسمى طلبة القرآن الحزب المنسوب إليه «حزب الشيخ» أنه كان لا يعطي ورد الطريقة الناصرية لطلبة القرآن ويمتنع من ذلك، ويقول لهم : «حزبكم وردكم».

وقد عرضنا بأمانة ما قال الفقهاء في القراءة الجماعية وقراءة الحزب وما تقرر فيها عندهم في المذهب، ورأينا -

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بصرف النظر عن المآل الذي يؤدي إليه ترك ذلك من المساجد في وقتنا من هجر القرآن المفضي إلى فقدانه وذهابه من الصدور بالنسيان - أن الفتوى طوال القرون ترددت بين ثلاثة أقوال : قول بالكراهة، وهو للإمام مالك، وتابعه عليه الإمامان سحنون والشاطبي، وقول بالجواز وإليه ذهب الأئمة : ابن أبي زيد القيرواني وأبو الحسن القابسي ومحرز التونسي والمازري وأبو الوليد الباجي، وقول بالندب والاستحباب، وإليه ذهب من أئمة الشافعية الإمام النووي ومن أئمة المالكية الإمام أبو سعيد ابن لب الغرناطي، وقال :»إن العمل بذلك قد تضافر عليه أهل هذه الأمصار والأعصار، وهذه مقاصد من يقصدها فلن يخيب من أجرها...»، ثم ذكرها.

وقد عرضنا من أدلة مشروعيتها ما فيه الكفاية لمن أنصف وتبصر، وتعامل مع القضية باعتبارها من أفعال العباد التي هي عند الفقهاء مما تعتريه الأحكام الخمسة : الوجوب والندب والإباحة والكراهة والحرمة، والكراهة عندهم هي : ما يتاب تاركها، ولا يعاقب فاعلها.

وأما من يتعامل مع أفعال العباد من منطلق السنة والبدعة، فالمعيار عنده مختلف، ومن الصعوبة أن يدرك الفرق الدقيق بين الحديث الوارد بالوعيد في محدثات الأمور، وأن كل محدثة بدعة، وبين الحديث الوارد في شأن :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«من سن سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة».

ومن كان غير مؤهل لإدراك منازع أهل الفقه وأئمة الدين في الاجتهاد والنظر في هذه المسائل، يستعصي عليه التفريق بين ما هو منها من مجالات الفقه، وما هو من مجالات العقيدة ؛ إذ ليس من مصطلحات الفقهاء القول في فعل من أفعال العباد : إنه سنة أو بدعة بالمفهوم العقدي، والقسمة عندهم في أفعال العباد ـ كما تقدّم ـ هي خماسية لا ثنائية، والجهل بهذا الاختلاف في استعمال المصطلح ومواضع استعماله هو الذي يدخل الغبش الكثير في الرؤية على كثير من المتخالفين في نظرنا، فيؤدي ذلك إلى تباين المعايير، ومن ثم إلى اختلال الموازين وتباين الأحكام[76].

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

76 - لعل أقرب مثال يدل على ذلك، ما وقع قبل سنين في مسألة وضع اليدين على الصدر بعد الرفع من الركوع، حيث أفتى بعض المفتين من أهل المشرق بأنه من سنن الصلاة، وأفتى آخر في الرد عليه بأنه بدعة ضلالة، ومن النظر في ذلك نرى أن الآفة في هذا التباين في الحكم إنما جاءت من جهة اختلاف المعايير الذي من شأنه أن يؤدي حتما إلى تباين الأحكام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

محتويات الكتاب

أمّا قبل : د.محمد يسف..... 5

تقديم 9

العلامة ابن خلدون وخصائص أهل المغرب 11

عوامل مساعدة على النبوغ المغربي في الحفظ

والتحصيل 14

الباعث على إثارة القضية 15

أقرب الأدلة متناولا في بيان مشروعية القراءة

الجماعية 18

موقف الإمام مالك من القراءة الجماعية وتوجيه

العلماء له 22

اعتراض الإمام النووي على الإمام مالك وقوله

عن قوله : «إنه متروك»..... 23

قول الإمام مالك : «ليس هذا من عمل الناس»..... 26

القراءة الجماعية وسيلة من وسائل العرض

في حلقة أبي الدرداء الصحابي الجليل 29

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القراءة الجماعية في اتجاه إفريقية والمغرب 30
تغيير الفتوى عند المالكية بتغير الحال
واعتبار المآل 32
موقف فقهاء الأندلس من القراءة الجماعية 36
فتوى ابن لب شيخ الجماعة بغرناطة 38
دخولها فيما عليه العمل 40
تقويم لما أثر عن الإمامين مالك والشاطبي
من كراهة قراءة الجماعة 42
وجوب النظر في المآل 49
نبذة عن ظهور الحزب في المغرب
وتعاقب الدول على اعتماده 52
وفي مصر والأزهر الشريف 55
وفي تونس والجامع الأعظم (جامع الزيتونة) 56
الأوقاف على قراءة الحزب في فاس وغيرها 57
الاستفادة من أوقاف الحزب والفتوى فيها 61
أنواع الحزب الراتب 63
خاتمة 69

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هذا الكتاب

إن الكتاب الذي نقدمه اليوم لا يخرج عن سياقات النضال من أجل الوحدة الدينية، والذود عن الاختيارات التي أجمع عليها علماؤنا وولاة أمرنا وذوو الفضل والصلاح من أسلافنا، وتمسكوا بها وذبوا عنها.

تجرد فيه مؤلفه الفقيه العالم الدكتور عبد الهادي احميتو، وهو أحد علماء الأمة، وشيخ من مشايخ أهل القرآن في مغرب القرآن، تجرد فيه لتصحيح فهم بعض من لا علم عندهم ولا عقل، بتوضيح ما أشكل من الحكم وبسط الأبعاد الإصلاحية التي توخاها أهل المغرب من وراء قراءة القرآن جماعة، داحضا مقولاتهم ومفندا مآخذهم بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة.

وقد أبرز قيمة قراءة الحزب الراتب الذي اعتاد قومنا على تلاوته بكرة وعشياء بجميع مساجد المملكة المغربية، بحواضرها وبواديها، وجبالها وصحرائها، وما يحدثه هذا الأسلوب من التلاوة القرآنية في نفوس المومنات والمومنين وأرواحهم ووجدانهم، من بالغ التأثير وعميق الإيمان ومزيد تعلق بكتاب الله العزيز، فضلا عن أن الكثيرين من الذين دأبوا على الحضور في حلقات هذه التلاوة المباركة، تمكنوا من حفظ القرآن الكريم كلا أو بعضا.

د. محمد يسف

الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى

مؤلف الكتاب :

د. عبد الهادي احميتو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية